



## العولمة والثقافة الفلسطينية عوامل الذوبان ومقومات الحفاظ على الهوية الوطنية

بقلم: محمد حسين

ومن الحكمة والذكاء بمكان أن نستفيد من الجديد الذي أتت به العولمة للحفاظ على خصوصيتنا المجتمعية في هذه الدوامة. وأمام هذا النّفس التوسّعي الغريب، والذي صار واقعاً ملموساً نعايشه، يفرض السؤال الكبير نفسه، هل العالم الإسلامي بشكل عام والأمة العربية بشكل خاص والقضية الفلسطينية بالأخص معنيون بهذا الصراع الجديد من نوعه؟ أنا لا أشك أن العالم الإسلامي والعربي وفلسطين بشكل خاص هم في مقدمة المستهدفين بهذا النظام، والمطلوبين (لبيت الطاعة الأمريكية)، وليس أدلّ على ذلك من الغزو الفكري الذي دخل بيوتنا جميعاً، والغزو الاقتصادي الذي اكتسح أسواقنا والأخطر من ذلك الغزو الثقالي الذي وصل إلى مناهجنا التربوية، ولا يغيب عن ذهن القارئ الكريم أن فلسطين هي دزة تاج العالم العربي والإسلامي، وهي فوهة بندقيته التي تواجه العدو الإسرائيلي، فلسطين هي محور الصراع الأبرز والأكبر في التاريخ الحديث،

البُعد الاقتصادي كان الأكثر وضوحاً ولا عجب في ذلك، فالولايات المتحدة تسيطر على منظمة التجارة العالمية التي تصوغ منظومة التجارة لأهل الأرض بالتنسيق مع البنك وصندوق النقد الدوليين، ناهيك عن ثورة الاتصالات والتكنولوجيا التي بتنا اليوم لا نستطيع الاستغناء عنها، وعليه فقد أمسكت الولايات المتحدة بزمام الاقتصاد العالمي، وحققت بذلك أول وأهم خطوة في طريق تطبيق العولمة وذلك لأن السياسة «هي تكثيف الاقتصاد».

### رؤية جديدة

إذن هو نظام جديد يسعى -على المدى البعيد- لنسف خصوصيات الشعوب ونقلهم إلى كوكب فكري آخر تفرض فيه القوة العظمى (الولايات المتحدة) رؤيتها، وتحدّد للناس نمط حياتهم وأطر تفكيرهم، وما على الأتباع فيه إلا أن ينسلخوا عن هوياتهم ويقتنعوا بجدوى التبعية ويقولوا سمعنا وأطعنا، ولكنها في الوقت نفسه ليست شرّاً مطلقاً،

اختلف أهل الرأي والفكر في طبيعة وآليات وجدوى التعاطي مع العولمة، ولكنهم حقّقوا إجماعاً أو شبه إجماع على أنها -وكما أراد لها أصحابها الأول- جديدٌ يجب ما قبله، ويسعى لاقتلاع المفاهيم التي شكّلت هويتنا الثقافية وخصوصيتنا الحضارية عبر متواليات الحقب السابقة.

فالعولمة هي المصطلح الذي رست عليه سفينة خزانات التفكير في الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية الثمانينات وبداية التسعينيات من القرن المنصرم، حيث انتهت الحرب الباردة وانهار الاتحاد السوفييتي، وظهر النظام العالمي الجديد أحادي القطب، وتربعت الولايات المتحدة على عرش الهيمنة عليه وحيدة (لا تقبل الرديف) على رأي أبي الطيب، وفي نسخة أكسفورد التي تحدّثت عام 1991م كان أول ظهور كلمة Globalization والتي تعني العولمة.

اتخذت العولمة أشكالاً ووجوهاً متعدّدة، اقتصادية وسياسية وفكرية ثقافية وغير ذلك، غير أن